

سورة النصر

وتسمى سورة اذا جاءه عن ابن مسعود انها تسمى سورة التوديع لما فيها من الايماء الى وفاته عليه الصلاة والسلام وتوديعه الدنيا وما فيها وجاء في عدة روايات عن ابن عباس وغيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال حين تزلت نعت الى نفسي وفي رواية لا يبقى عنه أنه لما نزلت دعا عليه الصلاة والسلام فاطمة رضى الله تعالى عنها وقال انه قد نعت الى نفسي فبككت ثم ضحككت فقبل لها فقالت أخبرني انه نعت اليه نفسه فبكيت ثم أخبرني بأنك أول أهلى لحاقبى فضحككت وقد فهم ذلك منها عمر رضى الله تعالى عنه وكان يفعل عليه الصلاة والسلام بعدها فعل مودع وهى مدينة على القول الاصح في تعريف المدينى فقد أخرج الترمذى في مسنده والبيهقى من حديث موسى بن عبيدة وعبد الله بن دينار وصدقة بن بشار عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال هذه السورة نزلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أوسط أيام التشريق بمعنى وهو فى حجة الوداع اذا جاءه نصر الله والفتح حتى ختمها الخبر وأخرجه أيضا ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وغيرهما لكن قال الحافظ بن رجب بعد أن أخرجه عن الاولين أن اسناده ضعيف جداً وموسى بن عبيدة قال احمد لا تحل الرواية عنه وعليه ان صح يكون نزولها قريبا جداً من زمان وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم فان ما بين حجة الوداع واجابته عليه الصلاة والسلام داع الحق ثلاثة أشهر ونيف وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة أنه قال والله ما عاش صلى الله تعالى عليه وسلم بعد نزول اذا جاء نصر الله والفتح الا قليلا سنتين ثم توفي عليه الصلاة والسلام وفي البحر ان نزولها عند منصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم من خيبر وأنت تعلم أن غزوة خيبر كانت في سنة سبع أو اخر الحرم فيكون ما في البين أكثر من سنتين ويدل على مدينتها أيضا ما أخرجه مسلم وابن أبى شيبة وابن مردويه عن ابن عباس أنه قال آخر سورة نزلت من القرآن جميعا اذا جاء نصر الله وآيها ثلاث بالاتفاق وفيها اشارة الى اضمحلال ملة الاصنام وظهور دين الله عز وجل على اتم وجه وهو وجه مناسبتها لما قبلها ويحتمل غير ذلك وهى على ما أخرج الترمذى وغيره من حديث أنس اذا جاء نصر الله والفتح ربع القرآن ولم اطفر بوجه ذلك وسيأتى ان شاء الله تعالى ما يتعلق به

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ إِذْ جَاءَهُ نَصْرُ اللَّهِ) أى اعانته تعالى واظهاره اياك على عدوك وهذا معنى النصر الممدى بملى وفسره به لانه اوفق بقوله تعالى (وَالْفَتْحُ) وجوز ان يراد به الممدى بمى ومعناه الحفظ والفتح يتضمن النصر بالمعنى الاول حينئذ يكون الكلام مشتملا على افادة النصرين والاول هو الظاهر واذا منصوب بسبح وانفاء غير مانعة على ما عليه الجمهور في مثل ذلك وأبو حيان على أنها معمولة للفعل بعدها وليست مضافة اليه وسيأتى ان شاء الله تعالى قول آخر والمراد بهذا النصر ما كان فى أمر مكة من غلبته عليه الصلاة والسلام على قريش وذكر النقش عن ابن عباس أن النصر هو صالح الحديبية وكان فى آخر سنة ست واما الفتح فقد أخرج جماعة عنه وعن عائشة أن المراد به فتح مكة وروى ذلك عن مجاهد وغيره وصححه الجمهور وكان فى السنة الثامنة وقال ابن شهاب لثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان على رأس ثمان سنين ونصف من الهجرة وخرج عليه الصلاة والسلام على ما أخرجه أحمد بسند صحيح عن أبى سعيد البيلئى خلتا من شهر رمضان وفى رواية أخرى عن أحمد لثمان عشرة وفى أخرى لثنتى عشرة وعند مسلم لست عشرة وقال الواقدي خرج صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الاربعاء لعشر خلون من رمضان بعد العصر وضعفه القسطلانى وكان المسلمون فى تلك الغزوة عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف من العرب وفى رواية اخرى

عشر ألفا وجمع بان العشرة خرج بها عليه الصلاة والسلام من المدينة ثم تلاحق الافان والاولى أن يحمل النصر على ما كان مع الفتح المذكور فان كانت السورة الكريمة نازلة قبل ذلك فالامر ظاهر وتتضمن الاعلام بذلك قبل كونه وهو من اعلام النبوة واذا كانت نازلة بعده فقال الما تريدى في التأويلات ان اذا بمعنى لغة التي للعاصي ومحيثها بهذا المعنى كثير في القرآن وعليه تكون متعلقة بمقدر ككحل الامر لو اتم النعمة على العباد أو نحو ذلك لا يسبح لان الكلام حينئذ نحو اضرب زيدا أمس وقال بعض الاجلة هي لما يستقبل كما هو الاكثر في استعمالها وحينئذ لم يكن بدمى أن يجعل شيء من ذلك مستقبلا مترقبا باعتبار أن فتح مكة كان أم الفتح والدستور لما يكون من بعده فهو مترقب باعتبار ما يدل عليه وان كان متحققا باعتباره في نفسه وجوز ان يكون الاستقبال باعتبار مجموع ما في حيز اذا فنه ما هو مستقبل وهو ما تضمنه قوله سبحانه (وَرَأَيْتِ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا) ولو باعتبار آخر داخل وهو بما لا بأس به ان لم يكن النزول بعد تمام الدخول وقيل المراد جنس نصر الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام والمؤمنين وجنس الفتح فيهم ما كان في أمر مكة زادها الله تعالى شرقا وغیره وأمر الاستقبال عليه ظاهر وأياما كان فالمراد بالهجي الحصول وهو حقيقة فيه على ما يقتضيه ظاهر كلام الراغب وقال القاضي مجاز والظاهر أن الخطاب في رأيت للنبي عليه الصلاة والسلام والرؤية بصرية أو علمية متمدية لمفعولين والناس العرب ودين الله ملة الاسلام التي لادين له تعالى يضاف اليه غيرها والافواج جمع فوج وهو على ما قال الراغب الجماعة المارة بسرعة ويراد به مطلق الجماعة قال الحوفي وقياس جمه أفوج ولكن استقلت الضمة على الواو فعدل الى أفواج وفي البحر قياس فعدل صحيح الدين أن يجمع على أفعل لا على أفعال وممثل المئين بالعكس فالقياس فيه أفعال كحوض وأحواض وشذ فيه أفعل كنبوب وأنوب ونعيب أفواجا على الحال من ضمير يدخلون وأما جملة يدخلون فهي حال من الناس على الاحتمال الاول في الرؤية ومفعول ثان على الاحتمال الثاني فيا وكونها حالا أيضا بجعل رأيت بمعنى عرفت كما قال الزمخشري تنقبه ابو حيان بقوله لا تنظم أن رأيت جاءت بمعنى عرفت فيحتاج في ذلك الى استنبات والمراد بدخول الناس في دينه تعالى أفواجا أي جماعات كثيرة اسلامهم من غير قتال وقد كان ذلك بين فتح مكة وموته عليه الصلاة والسلام وكانوا قبل الفتح يدخلون فيه واحداً واحداً واثنين اثنين أخرج البخاري عن عمرو بن سلمة قال لما كان الفتح بادر كل قوم باسلامهم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت الاحياء تلوم باسلامها فتح مكة فيقولون دعوه وقومه فان ظهر عليهم فهو نبي وعن الحسن قال لما فتح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مكة قالت الاعراب أما اذ ظفر بأهل مكة وقد أجارهم الله تعالى من أصحاب القيل فليس لكم به يدان فدخلوا في دين الله تعالى أفواجا وقال أبو عمر بن عبد البر لم يتوف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي العرب رجل كافر بل دخل الكل في الاسلام بمدحذين والطائف منهم من قدم ومنهم من قدم وافته وتا ول ذلك ابن عطية فقال المراد والله تعالى أعلم العرب عبدة الاوثان فان نصارى بنى تغلب ما أراهم أسلموا في حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن أعطوا الجزية ونص بعضهم على انهم لم يسلموا اذ ذاك فالمراد بالناس عبدة الاوثان من العرب كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن ونحوهم وقال عكرمة ومقاتل المراد بالناس أهل اليمن وفد منهم سبعمائة رجل وأسلموا واحتج له بما أخرجه ابن جرير من طريق الحصين بن عيسى عن معمر عن الزهري عن أبي حازم عن أبي عباس قال بينما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المدينة اذ قال الله أكبر لله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن قيل يا رسول الله وما أهل اليمن قال قوم رقيقة قلوبهم

لينة طاعتهم الايمان يمان والفقہ يمان والحكمة يمانية وأخرجه أيضا من طريق عبد الأعلى عن معمر عن
عكرمة مرسلا وقوله عليه الصلاة والسلام الايمان يمان جاء في حديث أخرجه البخاري ومسلم
والترمذي عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ أنا من أهل اليمن ثم أرق أفئدة والين قلوبا الايمان يمان والحكمة
يمانية فقبل قال صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك لان مكة يمانية ومنها بعث صلى الله تعالى عليه وسلم وفشا الايمان
وقيل اراد عليه الصلاة والسلام مدح الانصار لانهم يمانون وقد تبوؤا الدار والايمان وقول ابن عباس في الخبر في
المدينة يعارض قول من قال ان ذلك انما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم بتبوك وكان بينه وبين اليمن مكة والمدينة
وهما دارا الايمان ومظهرهما ويحتمل تكرار القول والظاهر انه ثناء على أهل اليمن لاسراعهم الى الايمان
وقبولهم له بلا سيف ويشمل الانصار من أهل اليمن وغيرهم فكان الايمان مكان في سنخ قلوبهم فقبلوه
كما أنهى اليهم كمن يجد ضالته ومثله في الثناء عليهم قوله عليه الصلاة والسلام أجد نفس ربكم من قبل اليمن
وقال عصام الدين يحتمل أن يكون الخطاب في رأيت الناس عاما لكل مؤمن ثم قال وما يخلج في القلب
أن المناسب بقوله تعالى يدخلون في دين الله أفواجا أن يحمل قوله سبحانه والفتح على فتح باب الدين
عليهم انتهى وكلا الأمرين كما ترى وقرأ ابن عباس كما أخرج أبو عبيدة وابن المنذر عنه اذا جاء فتح الله
والنصر وقرأ ابن كثير في رواية يدخلون بالبناء للمفعول (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) أي فترزه
تعالى بكل ذكر يدل على التنزيه حامداً له جل وعلا زيادة في عبادته والثناء عليه سبحانه لزيادة انعامه سبحانه
عليك فالتسبيح التنزيه لا التلفظ بكلمة سبحان الله والباء للملابسة والجار والمجرور في موضع الحال والحمد
مضاف الى المفعول والمعنى على الجمع بين تسبيحه تعالى وهو تنزيهه سبحانه عما لا يليق به عز وجل من النقائص
وتحميده وهو اثبات ما يليق به تعالى من المحامد له لعظم ما انعم سبحانه به عليه عليه الصلاة والسلام
وقيل أى ترزه تعالى عن المعجز في تأخير ظهور الفتح واحمده على التأخير وصفه تعالى بان توقيت الامور
من عنده ليس إلا الحكمة لا يعرفها الا هو عز وجل وهو كما ترى وايد ذلك بما في الصحيحين عن مسروق
عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانه
اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن تعالى هذا مع قوله تعالى (وَاسْتَغْفِرْهُ) أى اطلب منه ان
ينفر لك وكذا بما في مسند الامام أحمد وصحيح مسلم عن عائشة ايضا قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يكثر في آخر أمره من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه وقال ان ربي كان اخبرني
ان سأرى علامة في امتي وامرني اذا رأيتها ان اسبح بحمده واستغفره الخ وروى ابن جرير عن طريق حفص
ابن عاصم عن الشعبي عن ام سلمة قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد
ولا يذهب ولا يجيء الا قال سبحان الله وبحمده قال إني امرت بها وقرأ السورة وهو غريب وفي المسند عن ابى
عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جاء نصر الله والفتح كان
يكثر اذا قرأها وركع أن يقول سبحانه اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي انك أنت الثواب الرحيم ثلاثا
وجوز أن تكون الباء للاستعانة والحمد مضاف الى الفاعل أى سبحه بما حمد سبحانه به نفسه قال ابن رجب
اذ ليس كل تسبيح بمحمود فتسبيح المعتزلة يقتضي تعطيل كثير من الصفات وقد كان بشر المريسي يقول
سبحان ربي الاسفل تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والظاهر للملابسة وجوز ان يكون التسبيح مجازا
عن التعجب بملافة السببية فان رأى أمرا عجيبا قال سبحان الله أى فتعجب لتيسير الله تعالى مالم
يخطر ببالك وبالأحد من ان يغاب أحد على أهل الحرم وأحمدته تعالى على صنعه وهذا التعجب تعجب

متأمل شاكر يصح أن يؤمر به وليس الأمر بمعنى الخبر بان هذه القصة من شأنها أن يتعجب منها كما زعم ابن المنير والتعديل بان الأمر في صيغة التمجيد ليس أمراً بين السقوط نعم هذا الوجه ليس بشيء والاخبار الدالة على أن ذلك أمر له صلى الله تعالى عليه وسلم بالاستعداد للتوجه إلى ربه تعالى والاستعداد للقاءه بعد ما أكمل دينه وأدى ما عليه من البلاغ وأيضاً ما ذكرناه من الآثار أنفاً لا يساعد عليه وقيل المراد بالتسبيح الصلاة لاشتغالها عليه ونقله ابن الجوزي عن ابن عباس أي فصل له تعالى حامداً على نعمه وقد روى صلى الله تعالى عليه وسلم لما دخل مكة صلى في بيت أم هانئ ثمان ركعات وزعم بعضهم أنه صلاها داخل الكعبة وليس بالصحيح وإيما كان في صلاة الفتح وهي سنة وقد صلاها سعد يوم فتح المدائن وقيل صلاة الضحى وقيل أربع منها للفتح وأربع للضحى وعلى كل ليس فيها دليل على أن المراد بالتسبيح الصلاة والاخبار أيضاً تساعد على خلافه واستغفاره صلى الله تعالى عليه وسلم قبيل لأنه كان دائماً في الترقى فإذا ترقى إلى مرتبة استغفر لما قبلها وقيل مما هو في نظره الشريف بخلاف الأولى بمنصبه المنيف وقيل عما كان من سهو ولو قبل النبوة وقيل لتعليم أمته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو استغفار لامته عليه الصلاة والسلام أي واستغفر لامتك وجوز بعضهم كون الخطاب في رأيت عاماً وقال ههنا يجوز حينئذ أن يكون الأمر بالاستغفار لمن سواه عليه الصلاة والسلام وأدخله صلى الله تعالى عليه وسلم في الأمر تغليب وهذا خلاف الظاهر جداً وأنت تعلم أن كل أحد مقصر عن القيام بحقوق الله تعالى كما ينبغي وأدائها على الوجه اللائق بجلاله جل جلاله وعظمته سبحانه وإنما يؤديها على قدر ما يعرف والعارف يعرف أن قدر الله عز وجل أعلى وأجل من ذلك فهو يستحي من عمله ويرى أنه مقصر وكلما كان الشخص بالله تعالى أعرف كان له سبحانه أخوف وبرؤية تقصيره أبصر وقد كان كهمس يصلي كل يوم الف ركعة فإذا صلى أخذ بلحيته ثم يقول لنفسه قومي يا مأوى كل سوء فوالله ما رضيتك لله عز وجل طرفه عين وعن مالك بن دينار لقد هممت أن أوصي إذا مت أن ينطلق بي كما ينطلق بالعبد الآبق إلى سيده فإذا سألني قلت يارب اني لم أرض لك نفسى طرفه عين فيمكن أن يكون استغفاره عليه الصلاة والسلام لما يعرف من عظيم جلال الله تعالى وعظمته سبحانه فيرى أن عبادته وإن كانت أجل من عبادة جميع العابدين دون ما يليق بذلك الجلال وتلك العظمة التي هي وراء ما يخطر بالبال فيستحي ويهرع إلى الاستغفار وقد صح أنه عليه الصلاة والسلام كان يستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة وللإشارة إلى قصور العابد عن الاتيان بما يليق بجلال المعبود وإن بذل المجهود شرع الاستغفار بعد كثير من الطاعات فذكر والله يشترط لصلى المكتوبة أن يستغفر عقبها ثلاثاً ولا يمتدح في الاسحار أن يستغفر ما شاء الله تعالى وللحاج أن يستغفر بعد الحج فقد قال تعالى ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم وروى أنه يشترع لحتم الوضوء وقالوا يشترع لحتم كل مجلس وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول إذا قام من المجلس سبحانه اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك ففي الأمر بالاستغفار رمز من هذا الوجه على ما قيل إلى ما فهم من النعم والمشهور أن ذلك للدلالة على مشاركة تمام أمر الدعوة وتكامل أمر الدين (١) والكلام وإن كان مشتملاً على التعليق وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار قيل على طريقة النزول من الخالق إلى الخلق كما قيل ما رأيت شيئاً إلا ورأيت التسبيح (١) قوله والكلام وإن كان مشتملاً على التعليق بعده في نسخة المؤلف لكن ذلك واقع في معرض الوعد ووعد الكريم يدل على قرب الموعد به لأن هنا البر عاجله ولذا قال بمض البلاء جبل الله عمر عداتك كممر عداتك وتقديم التسبيح الخ لكنه مضروب عليه تأمل اه منه

الله تعالى قبله لان جميع الاشياء مرايا لتجليه جل جلاله وذلك لان في التسبيح والحمد توجها بالذات للجلال الخالق وكاله وفي الاستغفار توجها بالذات لحال العبد ونقصيراته ويجوز أن يكون تأخير الاستغفار عنهما لما أشرنا اليه في مشروعية تعقيب العبادة بالاستغفار وقيل في تقديمها عليه تعليم أدب الدعاء وهو ان لا يسأل حاجة من غير تقديم الثناء على المسؤول منه ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ أى منذ خلق المكلفين أى مبالغا في قول توبتهم فليكن المستغفر اتائب متوقعا للقبول فالجمله في موضع التعليل لما قبلها واختيار توابا على غفارا مع انه الذى يستدعيه استغفره ظاهرا للتبيين كما قال بعض الاجلة على ان الاستغفار إنما ينفع اذا كان مع التوبة وذكر ابن رجب ان الاستغفار المجرد هو التوبة مع طلب المغفرة بالدعاء والمقرون بالتوبة فاستغفر الله تعالى وأنوب اليه سبحانه هو طلب المغفرة بالدعاء فقط وقال أيضا ان المجرد طلب وقاية شر الذنب الماضي بالدعاء والتدم عليه ووقاية شر الذنب المتوقع بالزعم على الاقلاع عنه وهذا الذى يمنع الاصرار كما جاء ما أصر من استغفر ولوعاد في اليوم سبعين مرة ولا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار والمقرون بالتوبة مختص بالنوع الاول فان لم يصحبه التدم على الذنب الماضي فهو دعاء محض وان صحبه ندم فهو توبة انتهى والظاهر أن ذلك الدعاء المحض غير مقبول وفيه من سوء الادب مع الله تعالى ما فيه وقال بعض الافاضل ان في الآية احتباكا والاصل واستغفره انه كان غفارا وتب اليه انه كان توابا وأيد بما قدمناه من حديث الامام أحمد ومسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها وحمل الزمان الماضي على زمان خلق المكلفين هو ما ارتضاه غير واحد وقال المتريدى في التاويلات أى لم يزل توابا لا أنه سبحانه تواب بامر اكتسبه وأحدثه على ما يقوله المعتزلة من أنه سبحانه صار توابا اذا أنشأ الخلق فتابوا فقبل توبتهم فاما قبل ذلك فلم يكن توابا ورد عليه بان قبول التوبة من الصفات الاضافية ولا تزاع في حدودها واختار بعضهم مذهب اليه المتريدى على أن المراد أنه تعالى لم يزل بحيث يقبل التوبة وما له قدم منشا قبولها من الصفات الالائية به جل شأنه وفي ذلك مما يقوى الرجاء به عز وجل ما فيه وصح لولم تذبوا لذهب الله تعالى بكم ولجاء بقوم يذبون ثم يستغفرون فيغفر لهم وفي الاستغفار خير الدنيا والآخرة أخرج الامام أحمد من حديث عطية عن أبى سعيد مرفوعا من قال حين يابى الى فراشه استغفر الله انذى لا اله الا هو الحى القيوم وأنوب اليه غفر له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وان كانت مثل رمل عالج وان كانت عدد ورق الشجر وأخرج أيضا من حديث ابن عباس من أكثر من الاستغفار جعل الله تعالى له من كل هم فرجا وأنا أقول سبحانه الله وبحمده أستغفر الله تعالى وأنوب اليه وأسأله أن يجعل لى من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا بحرمة كتابه وسيد أحبابه صلى الله تعالى عليه وسلم

سورة تبت

وتسمى سورة المسد، وهي مكية وآياتها خمس بلاخلاف في الامرين ولماذا كرر سبحانه فيما قبل دخول الناس في ملة الاسلام عقبه سبحانه بذكر هلاك بعض ممن لم يدخل فيها وخسرانه

على نفسه فليكن من ضاع عمره بسم الله وليس له منها نصيب ولا سهم

كذا قيل في وجه الاتصال وقيل هو من اتصال الوعيد بالوعد وفي كل سورة له عليه الصلاة والسلام وقال الامام في ذلك انه تعالى لما قال لكم دينكم ولي دين فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال الهى فما جزائى فقال الله تعالى لك النصر والفتح فقال فما جزاء عمى الذى دعانى الى عبادة الاصنام فقال تبت يداه وقدم الوعد على الوعيد